الدكتور محمد حقي

مسلك تاريخ وحضارة وتراث

الفصل الأول

كلية الآداب والعهلوم الإنسانية

جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال

مطبوع
مقدمات في التاريخ

الموسم الدراسي

2026/2025

بيبليوغرافيا

1-جيب هاملتون، علم التاريخ، ترجمة خورشيد إبراهيم وآخرين، دار الكتاب، بيروت، 1981.

2-العلبي أكرم حسن، التقويم، المصادر، بيروت، 1991.

3-يزبك قاسم، التاريخ ومنهج البحث التاريخي، دار الفكر، لبنان.

4-أبو ضيف مصطفي أحمد، منهج البحث التاريخي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987.

5-الوافي عبد الكريم، منهج البحث في التاريخ، جامعة قارسيون، بنغازي، 1990.

6-حلاق حسان، مناهج البحث التاريخي، دار النهضة، بيروت، 1991.

7-حمادة محمد ماهر، دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988.

"7-السالم السيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة، بيروت، 1986.

8-كار إدوارد، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

9-روزنطال فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2017.

10-كوثراني وجيه، تاريخ التاريخ، المركز العربي للأبحاث، بيروت، 2013.

11-ترحيني محمد احمد، المؤرخون والتاريخ عند العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.

12-العسكر عبد الله إبراهيم، تحقيب التاريخ الإسلامي، الرياض، 1419هـ/1996م.

13-شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، 1978، 2أج.

14-زريق قسطنطين، نحن والتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.

15-التيمومي الهادي، المدارس التاريخية، دار التنوير، بيروت ، 2013.

16-ناجي عبد الجبار، الاستشراق في التاريخ، المركزالأكاديمي للأبحاث.

17-حبيدة محمد، المدارس التاريخية، دار الأمان، الرباط.

18-ليسير فتحي، تاريخ الزمن الراهن، دار محمد علي، صفاقس، 2012.

1-OUMLIL Ali, Histoire et son discours, SMER, Rabat, 1982.

2-Histoire, Encycl. Univers., 1990, vol. 11, pp. (464-504).

3-The Study of History, the New Encyclopaedia Britannica, 1995, vol. (559-623). 20, pp.

المحاور:

1-تقديم

2-تعريف التاريخ

3-التحقيب أو تقسيم الزمان

4-بدايات التاريخ

5-مدارس التاريخ: الوضعية-الحوليات

6- تكوين المؤرخ

تعريف التاريخ

ما هو التاريخ؟

يكاد يستحيل الخوض في علم ما بدقة ووعي دون تحديد معناه ومحتواه ومكوناته، لذلك فبداية دراسة التاريخ تنطلق من تحديد المفهوم، ولأننا سنتهتم بالعصر الوسيط فمن الضروري أن ننظر إليه من وجهة نظر داخلية (نقصد إسلامية) ووجهة نظرية خارجية عالمية.

1-تحديد معنى التاريخ عند المسلمين

فماذا كان المسلمون يقصدون بكلمة تاريخ؟

قاد البحث في تحديد المفهوم إلى فترة الاستعمالات الأولى له مع انطلاق دولة الاسلام، وركز البحث على تحديد مصدر الكلمة؛ لأنها لم تذكر في المصادر العربية الأولى التي هي الأدب ما قبل إسلامي (الجاهلي) خاصة شعره والقرآن والأحاديث النبوية، في الحضارات التي سادت المنطقة العربية قبل الإسلام. وهكذا تعددت الآراء واختلفت حيث قيل إن أصل الكلمة من:

- من كلمة **أرخو** الأكدية التي تعني الشهر والقمر
- من العبرية **ياريخ** (القمر) أو **يرخ** (الشهر) = التوقيت بتحديد الشهر
- من الأرامية **يرخ**
- من الإثيوبية **ورخ**
- من الفارسية **ماه روز** التي تعني حساب الشهور والأيام
- من كلمة **أرخ (نقش وجد في اليمن)** اليمنية

وقد استبعد الباحثون؛ بمن فيهم روزنطال، كل المصادر ورجحوا الأصل العربي لكون اليمن مركزا حضاريا قديما وقريبا من عرب الحجاز، لكن السبب الذي يحدد لأخذ الخليفة عمر بن الخطاب بتأريخ المراسلات قد يجعل المصدر الفارسي أيضا مرجحا.

أما عن أصل اشتقاق الكلمة فقد حدد الباحثون كلمتين هما:

فعل **ورخ/ توريخا** (بتشديد وفتح الراء) بلغة بني تميم، لكنه لا يستعمل في اللغة إلا نادرا.

فعل **أرخ/ تأريخا** (بتشديد الراء وفتحها) بلغة عرب قيس، وهو الاستعمال الشائع والأكثر تداولا.

وكما سبقت الإشارة فكلمة تاريخ لم تستعمل في الشعر الجاهلي ولا في القرآن ولا في الأحاديث النبوية، وأقدم إشارة إليها تعود إلى وثيقة كتبت في عهد عمر بن الخطاب سنة 22هـ، لكنها تشير فقط إلى تحديد الزمن (اليوم والشهر والسنة)، أما استعمالها للدلالة على علم يهتم بأخبار الماضي والكتب التاريخية فلم ينتشر إلا في القرن الثالث الهجري مع تطور تاريخ الحوليات، ورجح روزنطال أن تكون معروفة في القرن الثاني بالرغم من استعمال المسلمين لكلمة خبر للتدليل على مضمونها.

لقد بدأ توظيف كلمة تاريخ عند المسلمين بشكل متواضع وبسيط حيث حملت معنى تحديد الزمن باليوم والشهر والسنة، لكنها تطورت بعد ذلك لتحمل دلالة أوسع وصارت تدل على علم يهتم بأخبار الزمان وحوادثه منذ القرن 3هـ/9م. ومع تقدم الحضارة الإسلامية وتوسع العلوم صارت تحمل معاني أكثر عمقا واتساعا حيث يعرفه ابن خلدون (ق8هـ/14م) على أنه:

"التاريخ خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش والتأنس، والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها (...) وهو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول (...) وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق" (المقدمة.9)

أما عند السخاوي فهو "فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت، بل عما كان في العالم" (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم علم التاريخ)

ويلاحظ هنا أننا أمام مستويين، واحد يجعل التاريخ جماعا لأحداث حياة البشرية حاضرها وغابرها وتحديد زمانها، وثان يضيف للجمع النظر فيها وتمحيصها ومعرفة مبادئها وأسبابها، وهذا تطور كبير وصل إليه ابن خلدون في مقدمته لكنه لم ينتشر كثيرا بالرغم من اعتماد المؤرخين المسلمين على التدقيق في الروايات وتعديلها وتجريحها على طريقة أهل الحديث.

ويلاحظ من التعريفين التأكيد على ثلاثة أشياء: وقائع البشر وحوادثهم (الانسان) والعالم (لعمران) والزمان (الوقت)، وهذه هي أذرع التاريخ، فهو تاريخ البشر في مكان ما داخل المعمور وفي وقت من الأوقات، إنه تاريخ البشر.

2-تحديد معنى التاريخ في الغرب

تقابل كلمة تاريخ كلمة: histoire الفرنسية وhistory الإنجليزية وhistoria الاسبانية وغيرها من الصيغ القريبة منها في مختلف اللغات الأوربية الحديثة

وقد دخلت الفرنسية منذ القرن 12م

أصلها الكلمة الإغريقية Istoria التي تعني البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة أو بصيغة أخرى نوع المعرفة التي تهم كل مواطن في مدينة ما (الأرض-العادات-المؤسسات) ـالتربية على المواطنة، لكنها تطورت لتعني فقط الاحداث التي رافقت نمو هذه الظواهر.

اخذها الرومان historia بمعناها الشائع عند الإغريق

وقيل إن أصلها الأبعد هو كلمة istor الهندو-أوربية التي تعني الذي يعرف أو البصير أو القاضي أو المؤرخ.

وقد اخذت الكلمة في الغرب في الفترة المعاصرة معنى متشعبا حيث صارت تدل على:

- ما حدث، الوقائع التي حدثت
- رواية أو كتابة الوقائع التي حدثت فعلا ودراستها

فهو بذلك يعني الماضي والعلم الذي يهتم بهذا الماضي، وعندما نتحدث عن ماضي فهو لا يقتصر على كائن أو موجود دون آخر، فكل ما هو موجود يملك تاريخا: إنسان-حيوان-نبات-صخر-كوكب.

لكن الاهتمام انصب على الانسان لأنه يتغير بسرعة وباستمرار ومن جوانب متعددة، حتى إن بعض المؤرخين شبه التاريخ بغول يتغذى على اللحم البشري فأينما اشتم رائحته أقبل عليه يلتهمه بشره.

لكن إذا كان التاريخ هو كل ما حدث في الماضي فهل ما نعرفه هو كل الماضي؟ الحقيقة أن ما نسميه تاريخ لا يتجاوز حدود ما نعرفه من هذا التاريخ وما حفظ

منه، لذلك يجب التفريق بين ما وقع فعلا وبين ما نعرفه منه، مما يعني أننا لا نعرف كل الماضي البشري على الأرض.

ويظهر مما ورد أعلاه أن دراسة التاريخ تنصب على الإنسان في زمان محدد وعلى أرض محدد، إنها الأضلع الثلاثة التي تقوم عليها دراسة التاريخ:

الإنسان----------الزمان----------المكان

ولا وجود لتاريخ بدونها.

وإذا كان التاريخ علما فما هي وضعيته بين العلوم خاصة البحثة منه؟

التاريخ يبحث ويكد للوصول إلى الحقيقة من خلال رواية وكتابة الوقائع التي حدثت فعلا بعد التمحيص والتدقيق بعيدا عن المنطق والخيال (الرواية خيال)، فالتاريخ علم معرفة الأحداث والوقائع التي حدثت فعلا مما لا يسمح بتجربتها، وهذا ما يجعله مختلفا عن العلوم البحتة التي تبحث عن القوانين التي تتحكم في الأحداث مما يسمح له باستعمال الخيال والمنطق والعقل.

التاريخ=أحداث واقعية//العلوم البحتة=قوانين

والتاريخ بحكم اهتمامه بالإنشاء والتحرير وفق أسلوب جذاب يمكن أن يصنف ضمن الفنون، وهذه ميزة أخرى تبعده عن العلوم البحتة.

والخلاصة إن التاريخ فرع علمي يهتم بجمع كل أصناف أحداث ماضي الانسان؛ بل وحاضره، ودراستها في مكان ما بالاعتماد على كل مخلفاته المكتوبة أو المادية وفق منهج دقيق وصارم يقوم على النقد والتمحيص.

التحقيب والعصور التاريخية

التحقيب التاريخي (Periodization /Périodisation)

التحقيب بصفة عامة هو مقياس أو ميزان للوقت، وهو بذلك طريقة لتنظيم الوقت. **التحقب التاريخي** هو أداة منهجية يستخدمها المؤرخون وعلماء الاجتماع لتقسيم الماضي إلى فترات زمنية متماسكة وذات معنى. الهدف ليس مجرد تقسيم الوقت، بل **تنظيم المعرفة التاريخية** وتسهيل فهمها وتحليلها.

يستعمل التحقيب في فروع علمية مختلفة، لكن وحدة القياس تختلف بينها حسب طول عمر موضوع الدراسة، فالفلكيون يلجأون إلى وحدة آلاف ملايين السنين لحساب زمانهم، والجيولوجيون إلى مئات أو آلاف ملايين السنين، والجغرافيون إلى آلاف السنين، بينما يعتمد المؤرخون السنوات لقصر عمر البشر على الأرض. (توقف عند الوحدات الزمانية: السنة-العقد-القرن-الألفية)

وقد عرفت مختلف شعوب الأرض نوعا ما من التحقيب، وبالرغم من الاختلافات التي عرفها فإن المعايير المعتمدة تكاد تدور حول أحداث مشهورة ومهمة عند كل شعب مثل: ولاية ملك أو فترة حكمه أو احتفال سنوي (مواسم) أو فيضان نهر (فيضان النيل عند المصريين) أو حدث مؤثر كمعركة أو غزو أو بناء معلمة (طوفان-عام الفيل-بناء مكة-الهجرة-البعثة-حرب البسوس-داحس...) أو ظهور نجم في السماء أو زلزال أو وباء. لكن هذا النوع من التحقيب كان قصير المدى ولا يسمح بتتبع الأحداث لفترات طويلة مما يجعل التأريخ به محدودا وصعبا.

واختلفت الشعوب في حساب الزمن بين اعتماد السنة القمرية والسنة الشمسية، حيث اختارت شعوب الأولى وأخرى الثانية وبعضها جمع بينهما (عبرانيون: شهر قمري وسنة شمسية)، ونتج عن هذا اختلاف عدد أيام السنة وشهورها (10 شهور عند الرومان) مما صعب الربط بين تواريخ الشعوب وفترات تواريخ الشعب الواحد.

وقد عمل الرومان منذ عهد يوليوس قيصر على وضع تقويم ثابت عام 45 ق.م. (708 رومانية) اعتمد السنة الشمسية المكونة من 10 أشهر وسيشتهر باسم التقويم اليولياني الذي ما يزال سائدا حتى اليوم بالرغم من التعديلات الكثيرة التي أدخلت عليه.

وكان لظهور الديانات التوحيدية خاصة اليهودية والمسيحية ونظرتها إلى العالم المتسمة بالاستمرارية دور في ظهور تحقيب يمتد على فترات طويلة تشمل عمر البشرية الذي يبدأ بحدث الخلق (خلق آدم). وقد اجتهد علماء اليهود والمسيحيين في وضع تحقيب انطلاقا من القرنين الرابع والخامس الميلاديين. ويبدأ هذا التاريخ بخلق آدم الموافق لعام 3760 قبل الميلاد عند اليهود. وسار المسيحيون على نفس التصور حيث قسم القديس أغسطين (354-430م) التاريخ إلى الحقب التالية:

1-خلق آدم-----نوح

2-نوح ------ إبراهيم **(حوالي 1900 ق.م. ومات بعد 175سنة).**

3-إبراهيم ----- داوود **(حكم بين 1011 قبل الميلاد إلى 971 قبل الميلاد.)**

4-داوود ------ الأسر البابلي لليهود (**الموجة الأولى (597 ق.م)/ الموجة الثانية (586/587 ق.م)/ الموجة الثالثة (582 ق.م)/ نهاية الأسر البابلي في عام 538 ق.م**

5-الأسر البابلي ----- يوحنا المعمدان **(6 قبل الميلاد إلى حوالي 30 ميلاديًا)**

6-يوحنا ---------- المسيح

وفي القرن 15م (1431م) تبنت الكنيسة التقويم اليولياني الروماني، وانتشر في الشرق وصار يعرف بالتقويم الشرقي، وفي 1582م انتبه إلى وجود أخطاء في حسابات هذا التقويم فأمر البابا غريغوريوس بتصحيحه فظهر التقويم الغريغوري الذي تبنته فرنسا في حينه وانجلترا (1752م) واليابان (1872) وباقي دول العالم. وصار التقويم المعتمد في العالم في الوقت الحالي.

ولما ظهر الإسلام دفعت تطوراته ونظرته إلى تبني الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لتقويم خاص يعتمد الشهر القمري ويتخذ من الهجرة النبوية بداية للتاريخ الإسلامي وشهر محرم (الموافق للجمعة 16 يوليوز 622م) بداية للسنة وذلك في 20 جمادى الثانية عام 17هـ أو 16هـ. وقد اختلف حول سبب اتخاذ القرار (رسالة من عامل اليمن مؤرخة-رسالة من عامل فارس ورد فيها ذكر الشهر دون السنة وتدخل الهرمزان للإشارة إلى تاريخ الفرس القديم)، واختلف المسلمون حول حدث البداية (ولادة النبي-بعثة-هجرة-وفاة) ثم توافقوا على تاريخ الهجرة كحدث فاصل في تاريخ الإسلام، واختلفوا حول شهر البداية (رمضان-رجب-محرم) ثم اتفقوا على محرم. ويجب أن نشير إلى أن هذا الاختيار لا يبتعد عن عادات العرب قبل الإسلام (اعتماد الأحداث المهمة). وهكذا بدأ التقويم الإسلامي الذي قسم تاريخ المسلمين إلى مرحلتين فاصلتين: ما قبل الإسلام (العصر الجاهلي=بداية الكون والملاحم والأساطير والشعوب البائدة+ أخبار الأنبياء والرسل+ أخبار الملوك الفرس واليونان والرومان وأيام العرب) وعهد الإسلام الذي يقسم بدوره إلى مراحل.

تحديد عصور التاريخ

ومنذ عصر النهضة (ق.15م) عمد الأوربيون إلى تقسيم تاريخهم إلى حقب طويلة ومتجانسة ضمت: العصر القديم والعصر الوسيط وعصر النهضة، وفي عصر الأنوار والقرن التاسع عشر والعشرين تطور التقسيم فبدأوا يتحدثون عن عصر حديث يتبع النهضة أو يشملها وعن عصر معاصر ثم عصر ما قبل تاريخي. وهكذا صارت الصورة على الشكل التالي:

1-عصر ما قبل التاريخ: ظهور الانسان ----- اكتشاف الكتابة (4000 أو 3500 قبل الميلاد)

2-العصر القديم: اكتشاف الكتابة ----- سقوط روما عام 476م

3-العصر الوسيط: سقوط روما ----- اكتشاف أمريكا 1492م

3-العصر الحديث: 1492----------1800 (ذكر المعايير المعتمدة في المناقشة)

4-العصر المعاصر: ق. 19 و20م

5-العصر الراهن: زماننا الراهن منذ الحرب العالمية الثانية.

وقد اعتمد هذا التقسيم بشكل واسع عبر العالم بالرغم من موافقته لتاريخ أوربا أكثر وهفواته التعميمية الكثيرة.

وإلى جانب هذا التقويم وضعت مدارس أخرى تقسيمات أهمها: التقسيم الماركسي للمدرسة المادية التاريخية وتقسيم مدرسة الحوليات.

يعتمد التقسيم الماركسي على نوع وتطور وسائل الإنتاج وأساليب الاستغلال، وحدد ستة حقب في تطور البشرية:

1-الشيوعية البدائية: ملكية مشتركة-الجمع والصيد والقنص-زعامة حسب الكفاءة. (قبل اكتشاف الزراعة)

2-مرحلة الرق: ظهور الزراعة-الملكية الخاصة (الأرض+العبيد)- انتشار العبودية- ظهور الطبقات (ملاك-عبيد)- ظهور الامبراطوريات والاستبداد.

3-مرحلة الاقطاع (الفيودالية): أرستقراطية مالكة لوسائل الإنتاج وحاكمة-طبقات مغلقة-طابع الحكم ديني (ثيوقراطي)-دول قومية.

4-الرأسمالية: ملكية خاصة-حرية التصرف-نظام الإجارة-اقتصاد السوق-سيطرة البورجوازية على الملكيات-نظام الاحتكار-ديمقراطية بورجوازية-التوسع الاستعماري.

5-الاشتراكية: هيمنة البروليتاريا-الملكية المشتركة-العمل المشترك والمكافأة حسب الجهد المبذول-التسيير وفق نظام الكمونات.

6-الشيوعية: زوال الدولة: لا توجد حكومات وقوانين، ولا أمم-انعدام الطبقات: تختفي كل الطبقات الاجتماعية؛ الجميع يعمل من أجل الآخرين-انعدام الملكية: لا وجود للمال أو الممتلكات الخاصة؛ يمكن استهلاك جميع السلع بحرية من قبل أي شخص يحتاج إليها.

خلال القرن العشرين ظهرت مدرسة الحوليات الفرنسية بمنظور جديد للتاريخ وغيرت أشياء كثيرة فرضت إعادة النظر في مسألة التحقيب، وهو ما حدا بأحد زعمائها؛ فرناند بروديل، إلى اقتراح تحقيب جديد يعتمد على سرعة تطور موضوع الدراسة وامتداده الزمني، فقسم الزمان إلى ثلاثة أقسام:

- الزمن الطويل: يخص الجوانب الجغرافية التي يتميز تطورها بالبطء ويقترب من الثبات (آلاف السنين)
- الزمن المتوسط: يمتد على مئات السنين، ويتميز تطور قضاياه بسرعة متوسطة (المجتمع-الثقافة-العقلية...)
- الزمن القصير: يهم الأحداث أو ما يسمى بالتاريخ الحدثي.

إشكاليات التحقيب

يقدم التحقيب خدمات اهمها:

-**يبسط التعقيد** :التاريخ تيار مستمر ومعقد، والتحقيب يخلق نقاط توقف للتحليل.

-**يُسهّل المقارنة** :يسمح بمقارنة خصائص فترة بأخرى.

-**يخلق إطارًا تحليليًا** :يساعد في فهم الأحداث والتحولات الكبرى.

-**ينظم السرد التاريخي** :يجعل رواية التاريخ أكثر وضوحًا وتسلسلاً.

لكن التحقيب الحديث تعرض لانتقادات كبيرة ومنها:

- **أوروبي المركزية** :النموذج التقليدي (قديم، وسيط، حديث) مبني على التجربة الأوروبية بحتة ولا ينطبق بدقة على تاريخ آسيا أو أفريقيا أو الأمريكتين. فما يعتبر "وسيط" في أوروبا قد يكون عصرًا ذهبيًا للحضارة الإسلامية أو الصينية.
- **العمومية والإجحاف** :يطمس التحقيب التفاصيل والاستمراريات والاختلافات الإقليمية داخل الفترة نفسها.

- **القيم الكامنة** :كل تحقيب يحمل في طياته أحكامًا قيمية (تقدم، تأخر، ظلام، تنوير) قد لا تكون موضوعية.
- **تعدد النماذج** :أدى هذا النقد إلى ظهور نماذج تحقيب بديلة، مثل:
  - **تحقيب عالمي)** : (ما قبل التاريخ، عصر الحضارات الزراعية، عصر الثورات الحديثة، عصر العولمة).
  - **تحقيب حسب المناطق** : لكل منطقة تاريخها وتحقيبها الخاص.
  - **تحقيب حسب الموضوع** :تحقيب خاص بتاريخ الفن وتاريخ العلوم وتاريخ المرأة، إلخ.

خاتمة

لقد اجتهد الانسان عبر تاريخه لحساب زمانه تسهيلا لتحديد تطورات حياته وتعددت الاجتهادات في كل الحضارات البشرية، وانتقلت التأثيرات بين مناطق العالم وحضارات فأنتجت نظاما غربيا (التحقيب الغريغوري) فرض نفسه على العالم وصارت كل الشعوب تستعمله بالرغم من معارضتها له وانتقاداتها لنظامه. لكن وجود هذا النظام لا يمنع من وجود واستمرار انظمة أخرى مثل التحقيب الهجري (العالم الإسلامي) والتقويم اليولياني الشرقي وتقويمات محلية ضعيفة التأثير (الأمازيغي والقبطي والعبري والفارسي والصيني...)

بدايات التاريخ وتطور التدوين التاريخي

انطلق التدوين التاريخي في العالم منذ ظهور الكتابة حيث ظهرت الأشكال الجنينية الأولى في الأحواض النهرية الكبرى حيث تطورت الحضارات الزراعية القديمة بداية ببلاد الرافدين. ولم تتوقف عن التطور منذ ذلك الحين واتخذت أشكالا عديدة، واختلفت قيمتها حسب الحضارات. وسنقوم بجولة طويلة وواسعة في العالم وخاصة أجزاءه التي ساهمت في تكوين الصورة الحالية للتاريخ، ونقصد بها الشرق الأدنى القديم وأوربا. وسيقتصر عرضنا على تقديم صورة مختصرة وسريعة.

1-تدوين التاريخ في بلاد الرافدين

سجلت في هذه المنطقة ولادة الكتابة منذ حوالي 3200 ق.م.، وكتب المدونون الحروف المسمارية على ألواح الطين المجففة في الشمس أو المشوية باللغات المحلية خاصة السومرية والأكادية (بلهجتيها البابلية والآشورية).

توجه اهتمام التدوين نحو خدمة مصالح الحكام ورجال الدين لذلك عرض وجهة نظرهم في كل الميادين. وأهم مكوناتها:

- **السجلات الملكية** :دوّنت أعمال الملوك (حروب، بناء مشاريع، منشآت دينية) غالباً بهدف تمجيد ذكراهم.
- **قوائم الملوك** :سجلت أسماء وسنوات حكم الملوك، لكنها مزجت أحياناً بين الأسطورة والتاريخ.
- **النصوص القانونية** :أبرزها شريعة حمورابي (حوالي 1750 ق.م.) التي نظمت الحياة الاجتماعية والاقتصادية.
- **النصوص الاقتصادية والإدارية** : سجلات المعابد والقصور (ضرائب، توزيع حصص، عقود).
- **النصوص الأدبية والدينية** :ملاحم كملحمة جلجامش، وتسجيلات الأساطير والطقوس.

ويشكل هذا التراث أساساً مهماً لفهم تطور الحضارة الإنسانية، حيث قدم إسهامات كبيرة في مجالات الكتابة والقانون والعلم والإدارة. وتقوم المؤسسات الأثرية والبحثية اليوم بجهود حثيثة لدراسة هذا التراث وفهمه وحفظه، مما يساهم في إثراء المعرفة الإنسانية المشتركة.

2-تدوين التاريخ عند الفراعنة

اهتم المصريون بتدوين أحداث متنوعة دنيوية ودينية باستخدام الصخور وأوراق البردي، لكن همهم الأول لم يكن كتابة تاريخ بل تخليد وتمجيد المعنيين بالأخبار وخدمتهم مثل إثبات حق الفرعون في العرش، وإظهار جهوده للتوسط بين البشر والآلهة، وتخليد اسمه أبديا، ووضع نموذج نظام كوني مثالي (ماعت).

وتميزت كتاباتهم:

-طغيان الطابع الديني والايديولوجي :التاريخ في خدمة الدين والسياسة، فالفرعون هو الإله أو ممثله على الأرض، لذا يجب أن تظهر سيرته كاملة ومثالية.

-الانتقائية والمحو :حذف فترات الاضطراب والفوضى (مثل عصور الاضمحلال) أو حذف أسماء الملوك غير المرغوب فيهم.

-غياب التحليل والنقد :لا توجد محاولة لتحليل أسباب الأحداث أو نقد القرارات. التسجيل هو لتخليد الحدث، وليس لفهمه.

-الدورية بدل الخطية: نظر المصريون للزمن كدورة متجددة (فيضان النيل، شروق الشمس، تجديد حكم الفرعون) وليس كخط مستقيم للتقدم.

-الرمزية: استخدام الرموز والأرقام المقدسة (مثل الرقم 9 للإشارة إلى الأعداء).

وقد ترك الفراعنة مجموعة من الأعمال التي تعطي صورة عن تاريخهم أهمها:

*قوائم الملوك (الحوليات)

تُسجل أسماء الفراعنة بتسلسل زمني، غالبًا مع مدة حكم كل منهم. وتهدف إلى ربط الفرعون بأسلافه الأسطوريين والآلهة بغرض ضمان الشرعية، لكنها انتقائية وخاضعة للتقلبات السياسية (مثل **حتشبسوت** في عهد تحتمس الثالث، أو **أخناتون** وخلفائه). ومن نماذجها:

- **حجر باليرمو** :يسجل أسماء الملوك من عصر الأسرات المبكر حتى الأسرة الخامسة.
- **بردية تورينو** :وهي أكثرها دقة علميًا، كانت تسجل أسماء الملوك ومدة حكمهم بدقة.
- **قائمة أبيدوس** و**قائمة الكرنك** :منقوشة على جدران المعابد لتخليد ذكرى الملوك السابقين في سياق طقسي.

***السجلات التاريخية على جدران المعابد والمقابر**

هذه هي أقرب ما يكون "للكتب المدرسية" في التاريخ المصري القديم.

***حوليات المعارك :**تسجيل الحملات العسكرية والانتصارات.

أشهر مثال :**نقش معركة قادش** للملك **رمسيس الثاني** على جدران معابد الأقصر وأبو سمبل والكرنك. لكن هذه النقوش كانت **دعائية** بامتياز، تظهر الفرعون دائمًا منتصرًا وبطلاً خارقًا.

***مناظر الاحتفالات :**مثل عيد "الحب سد" (اليوبيل) الذي كان يُقام بعد 30 عامًا من الحكم لتجديد شباب الفرعون.

***رحلات الاستكشاف :**مثل رحلة **الملكة حتشبسوت** إلى بلاد بونت، المسجلة على جدران معبدها في الدير البحري.

***السير الذاتية للنبلاء والكهنة**

كانت تُنقش على جدران مقابر كبار رجال الدولة والموظفين، وتميزت بمصداقيتها **وواقعيتها مقارنة** مع النقوش الملكية، وتركز على تفاصيل من حياتهم ومهامهم الإدارية كما تنقل وجهة نظرهم في بعض الأحداث المهمة. ومنها نقوش **أوني** الذي يصف مشاركته في حملات عسكرية وتنقلاته الوظيفية في عهد الأسرة السادسة.

*** الوثائق الأرشيفية والإدارية**

-البرديات :مثل **برديات الطريق** التي تسجل تحركات الجيوش، أو **البرديات الإدارية** التي تسجل توزيع المواد الغذائية والأجور.

-رسائل تل العمارنة :وهي مراسلات دبلوماسية بين فراعنة الأسرة الثامنة عشرة (مثل أمنحتب الثالث وأخناتون) وحكام الإمبراطوريات والممالك المجاورة (ميتاني، بابل، الحيثيون). تعطينا هذه الرسائل نظرة **خارجية** على تاريخ مصر من وجهة نظر الآخرين.

*** النصوص الأدبية**

-نبوءات : مثل "نبوءة نفرتي" التي تسجل اضطرابات تاريخية بطريقة رمزية.

-تعاليم :مثل "تعاليم مري كا رع" التي تقدم نظرة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية في عصر الاضمحلال الأول.

لم يكن للمصريين القدماء "علم التاريخ" بالمفهوم اليوناني أو الحديث. كان **"تاريخهم" عبارة عن نسيج مطرز بخيوط من الدين، والسياسة، والفن، والواقع** .، لكنه يوفر مادة خامة جيدة للمؤرخ الحديث لإعادة تركيب تاريخهم بالعتماد التمحيص والنقد.

3-تدوين التاريخ عند الإغريق

يعتبر الإغريق من الأمم التي اهتمت بالتاريخ وتبلور عندها حس تاريخي مبكر اعتبر بمثابة أساس للتاريخ الحديث في الغرب، لكن هذا التاريخ مر بمراحل عديدة قبل أن يختمر ويكتمل.

مر تطور التدوين التاريخي بمراحل أهمها:

1- ما قبل التاريخ (العصر الملحمي والأساطير)

اعتمد حفظ الماضي على الأساطير (Mythoi) التي تتحدث عن الآلهة والأبطال، وتشرح أصول العالم والعادات والتقاليد دون الاهتمام بالتسجيل الدقيق للحقائق والاكتفاء بتقديم تفسيرات رمزية وأخلاقية. وكذلك الشعر الملحمي مثل الإلياذة والأوديسة المنسوبتين لهوميروس، وقد خصصهما لتخليد أحداث حرب طروادة والعصر الميسيني، ومزج فيهما الوقائع التاريخية (التي اكتشفت لاحقًا بالآثار) بالخيال الأسطوري والإلهي. كان الشاعر يعتبر مصدرًا للمعرفة، لكن ليس بالضرورة للحقيقة التاريخية الملموسة.

2-ولادة التاريخ (القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد)

اعتبر هيرودوت هو "أبو التاريخ" لأنه أول من حاول تسجيل الأحداث بطريقة منهجية ونقدية (نسبيًا). وجاء بعده **ثوسيديدس** الذي رفع المعيار إلى مستوى جديد من الدقة والتحليل.

-هيرودوت (حوالي 484 – 425 ق.م)

كان كتابه الرئيسي هو التواريخ" **(Historiai)** ، والتي تعني "الاستفسارات" أو "التحقيقات"، وفيه يؤرخ للصراع بين الإغريق والفرس (الحروب الفارسية) رغبة في حفظ أحداثه من النسيان. وقد اعتمد فيه على مشاهداته وروايات الشهود العيان الذين التقاهم في رحلاته إلى مصر وبلاد الرافدين والبحر الأسود. وبحث عن مصداقية لأخباره بعرض الروايات المتعددة للحدث الواحد دون اختيار، واعتمد نقدا بسيطا حينما حاول التمييز بين ما هو

حقيقي وما هو مبالغ فيه دون أن ينجح في التخلص من تسجيل أحداث غريبة، كما اهتم بالبحث عن الأسباب والنتائج وجمع بين التدخل البشري والغيبي (الآلهة)

-**ثوسيديدس** (حوالي 460 – 400 ق.م)

وأهم أعماله "تاريخ حرب البيلوبونيز بين أثينا وإسبرطة. وتميز منهجه بالدقة والعقلانية حيث رفض كل الخرافات والتأثيرات الإلهية فى تفسير التاريخ واكتفى بتسجيل الأحداث التى يمكن التحقق منها. واعتمد على الشهود العيان والمشاركين المباشرين فى الأحداث وأخضع معلوماتهم للتمحيص. أما تفسيره للأحداث فاعتمد الأسباب البشرية الملموسة للتاريخ مثل الطموح والخوف والمصالح الاقتصادية وميزان القوى. وتعتبر مقدمة كتابه دراسة رائدة في أسباب الحرب. وأدخل في كتابه خطبًا لشخصيات رئيسية، لكنها ليست تسجيلات حرفية، بل هي نصوص (متخيلة) بنيت على أساس مواقف وأفكار الشخصيات في تلك اللحظة التاريخية. وحدد وظيفة التاريخ في المساعدة على استشراف المستقبل لأن الطبيعة البشرية ثابتة وستنتج أحداثًا مماثلة.

3-مؤرخون لاحقون مهمون:

- **زينوفون (حوالي 430–354ق.م)** : بدأ من حيث توقف ثوسيديدس في كتابه **"هيلينيكا"** كما كتب **"الأناباسيس "**(الرحلة إلى الداخل)، وهو سرد شخصي مذهل لرحلة عشرة آلاف مرتزق يوناني عائدين من قلب الإمبراطورية الفارسية، ويعتبر نموذجًا للأدب التاريخي المغامر.
- **بوليبايوس (حوالي 200– 118ق.م):** كتب تاريخ صعود روما، وشدد على أهمية **"التاريخ العملي** – "دراسة التاريخ لفهم السياسة والحرب، معتبرًا أن التاريخ يجب أن يكون "معلمًا للحياة."

خصائص كتابة التاريخ عند الإغريق

1. **التركيز على التاريخ المعاصر أو القريب:** فضل معظم المؤرخين الإغريق كتابة تاريخ الأحداث التي عاصروها أو التي يمكنهم التحقق منها من شهود عيان.
2. **المركزية الإغريقية :** نظر الإغريق إلى أنفسهم كمركز للحضارة، بينما اعتبروا الشعوب الأخرى "برابرة". وحتى هيرودوت الذي كان منفتحًا على الثقافات الأخرى، كان ينظر إليها من خلال عدسة الإغريق.
3. **الهدف الأخلاقي والتعليمي :**كان التاريخ وسيلة لاستخلاص العبر والدروس عن الطبيعة البشرية، وفضائل القيادة، وأخطاء الحكم.

4. **الاهتمام بالسياسة والحرب :**كانت الموضوعات السياسية والعسكرية هي المحور الرئيسي، مع إهمال نسبي للتاريخ الاجتماعي أو الاقتصادي بالمعنى الحديث.
5. **الأسلوب الأدبي :**كان الأسلوب الجيد والبلاغة مهمين جدًا. وكان المؤرخ أيضًا كاتبًا وأديبًا يسعى لإنتاج عمل فني مقروء ومؤثر.

باختصار، انتقل الإغريق من سرد الماضي عبر الشعر والأساطير إلى تطوير **"التاريخ "**كشكل من أشكال البحث العقلاني، مؤسسين بذلك تقاليد التأريخ التي لا تزال تؤثر على فكرنا حتى العصر الحديث.

4-التدوين التاريخي عند الفرس قبل الإسلام

شكل التدوين التاريخي عند الفرس قبل الإسلام جزءاً مهماً من تراثهم الثقافي، وقد مر بعدة مراحل تعكس تنوع الإمبراطوريات والحضارات التي قامت على أرض إيران. وقد مر هذا التدوين بمراحل:

1-الفترة الأخمينية (550–330 ق.م)

اعتمد الأخمينيون على النقوش الصخرية واللوحات الطينية لتسجيل إنجازاتهم. وأبرز هذه النقوش:

- **نقش بيستون** :الذي أمر به الملك داريوس الأول (522–486 ق.م) ليصور انتصاراته وتثبيت حكمه. كتب بالحروف المسمارية بثلاث لغات: الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية.
- **نقوش تخت جمشيد (برسبوليس)** :تضمنت سجلات للمشاريع المعمارية والطقوس الدينية وهدايا الشعوب التابعة.

وتميزت التدوين بالتركيز على تبرير حكم الملوك وإظهار عظمة الإمبراطورية ودعم الآلهة للحكام.

2-الفترة السلوقية والبارثية (312 ق.م–224 م)

- **التأثير الهلنستي** :بعد غزو الإسكندر الأكبر، دخلت المنطقة في دائرة التأثير اليوناني، حيث استخدمت اللغة اليونانية في السجلات الرسمية.
- **البارثيون (الأشكانيون)** :لم يترك البارثيون سجلات تاريخية مكتوبة واسعة، لكنهم استخدموا الآرامية واليونانية في المعاملات الإدارية. اعتمد المؤرخون لاحقاً على الروايات الشفوية والأساطير.

3-الفترة الساسانية (224–651 م)

شهدت المرحلة نهضة في التدوين التاريخي، وانصب الاهتمام على إحياء التراث الفارسي سعيا إلى ربط الدولة بماضي البلاد الإخميني. واعتمد الكتاب على اللغة البهلوية (الفارسية الوسطى). وتميزت الكتابات بسيطرة الطابع الديني وفق الرؤية الزرادشتية وقدم الملوك كحماة للدين. واعتمدت المدونون على الرواية الشفوية التي حفظت في المنظومات الشعرية والقصص الأسطورية والملحمية التي حرصت طبقة النبلاء (الدهقانين) وعامة الشعب على على تناقلها شفويا، ومن الأساطير المشهورة: "أراش الرامي" و"رستم وسوهراب"، ونقلوا أخبارهم أيضا من كتابات المؤرخين اليونان والرومان (مثل هيرودوت، كسينوفون) التي وفرت معطيات مهمة عن الفترة الإخمينية.

وأهم الانتاجات التاريخية:

- **كتب الملك وعلى رأسها كتاب "خداي نامه" (كتاب الملوك)**: كان عملاً تاريخياً ضخماً يجمع سير الملوك والأساطير الفارسية، لكن الكتاب الأصلي ضاع ولم يبق منه إلا النقول التي اعتمدت في الشاهنامة لاحقاً.
- **السجلات الرسمية** :دونت الوقائع العسكرية والإدارية والإصلاحات (مثل إصلاحات أنوشيروان).

كان التدوين التاريخي الفارسي قبل الإسلام يتسم بالطابع الرسمى والأسطوري، معتمداً على النقوش والكتب الملكية والرواية الشفوية. وشكل هذا التراث الأساس الذي بنى عليه المؤرخون المسلمون (مثل الطبري والبلاذري) والمؤلفون الفرس (مثل الفردوسي في الشاهنامة) روايتهم التاريخية لاحقاً.

5-التدوين التاريخي عند المسلمين

احتل التاريخ وكتابته مكانة مميزة داخل الحضارة الإسلامية، لذلك ضبط المفهوم في القرون الأولى، وأخذ التدوين التاريخي طريقه وفق منهج واضح ودقيق منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. فما هي العوامل التي ساهمت في هذا التطور، وماهي المراحل التي قطعها؟ وما هي مناهجه وخصائصه العامة؟

1-عوامل ظهور التدوين التاريخي وتطوره

كان للعرب قبل الإسلام اهتمام بسيط بالتاريخ حيث تركزت جهودهم على تسجيل صراعاتهم القبلية المعروفة بالأيام، وضبط أنسابهم، وحفظ بعض أخبار الأمم المجاورة لهم

من فرس وروم وممالك اليمن. واعتمدوا في تناقلها على الرواية الشفوية على شكل شعر أو نثر قصصي وفي أحيان قليلة على بعض النقوش الصخرية (نقوش ثمود-نقش أمرؤ القيس).

وجاء الإسلام بحمولته التاريخية الكبيرة؛ كباقي الديانات التوحيدية، إذ هو خاتمة سلسلة الرسالات السماوية التي وجهت للبشرية منذ بدء الخليقة (خلق آدم) حتى يوم القيامة. وقد جاءت سور القرآن حافلة بالتاريخ المتعلق بالأمم السابقة أو القبائل العربية أو الرسالات السماوية أو سيرة الرسول وغزواته مما جعله ملهما للمسلمين في ميدان تسجيل التواريخ. وأثارت سيرة الرسول وأقواله وأفعاله وغزواته؛ كمصدر للعبرة والتعلم والتشريع، اهتمام المسلمين مبكرا فسارعوا إلى تدوينها. وتطلبت دراسة العلوم الشرعية خاصة فهم القرآن وتفسيره وترتيب الأحاديث ووضع الأحكام الفقهية معرفة أخبار الشعوب السابقة وتحديد أسباب النزول وزمانه. ولما قامت الدولة الإسلامية احتاجت في تسيير شؤونها إلى معرفة آداب الملوك وسيرها فشجع الحكام كتابة التواريخ والاهتمام بها. وكان لانتشار الكتابة وتوفر الورق ووضع التقويم الهجري دور كبير في ذلك. ولا يجب أن ننسى تأثير الأمم السابقة خاصة الفرس في تفتيح أعين المسلمين على أهمية التاريخ.

2-مراحل تطور التدوين التاريخي

1-المرحلة الأولى (القرن الأول الهجري):

اعتمد المؤرخون الأوائل على رواية المغازي (سيرة الرسول وغزواته) والأخبار الشفوية. وقد تأثرت كتاباتهم بمنهجية أهل الحجاز في تدوين الحديث. ومن أبرز المؤرخين أبان بن عثمان بن عفان وعروة بن الزبير. واشتهرت في بداية التدوين التاريخي الإسلامي مدرستان كبيرتان هما:

- **المدرسة الحجازية:** كان أصحاب هذه المدرسة من أهل المدينة المنورة من أبناء الصحابة مثل: عروة بن الزبير بن العوام وأبان بن عثمان بن عفان وشرحبيل بن سعد. وقد ركزوا على تاريخ الإسلام، ومن أشهر كتب أصحاب هذه المدرسة: كتاب سيرة ابن هشام وكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد.
- **المدرسة العراقية**: ركز أصحابها على تاريخ القبائل وأنسابها، ومن أشهر روادها ورموزها: نصر بن مزاحم، سيف بن عمر، المصعب بن عبد الله الزبيري، وكانوا منتشرين في الكوفة والبصرة في بداية العصر العباسي.

2-المرحلة الثانية (القرن الثاني الهجري):

بدأت عملية التدوين عامة تأخذ طابعًا أكثر تنظيمًا، حيث انتقلت من مرحلة الرواية الشفوية إلى تدوين الحديث وتصنيف الأحاديث بحسب المواضيع أو الرواة. كما بدأت تُجمع الأخبار التاريخية وتُصنف بشكل منهجي.

3-المرحلة الثالثة (القرن الثالث الهجري وما بعده):

تطورت كتابة التاريخ لتشمل مواضيع أكثر شمولاً مثل التاريخ العام، وتراجم الأعلام، والطبقات. وفي هذه المرحلة، ظهرت أعمال تاريخية موسوعية مثل: تاريخ الطبري الذي تميز بدقته في التسلسل الزمني ونقل الروايات.

4-المرحلة الرابعة (القرن الثامن الهجري وما بعده):

يبرز في هذه المرحلة المؤرخون الذين اهتموا بالنقد المنهجي للتاريخ؛ مثل ابن خلدون الذي وضع أسسًا نقدية علمية لدراسة التاريخ، ووضح أخطاء المنهج النقلي البحت، ودعا إلى تحليل الأحداث في سياقاتها الاجتماعية والسياسية. كما ظهر تيار اعتمد تلخيص الأعمال السابقة دون أن يضيف جديدا.

3-أنواع التدوين التاريخي

1-المغازي والسير: كتب خاصة بسيرة النبي محمد وغزواته، وهي من أقدم أشكال الكتابة التاريخية الإسلامية.

2-الكتب العامة: تتناول التاريخ من بدايته إلى عصر المؤلف، مثل تاريخ الرسل والملوك للطبري وتاريخ اليعقوبي.

3-التراجم والطبقات: تركز على سيَر الأعلام من الخلفاء والعلماء والفقهاء والمحدثين والقراء والأدباء والشعراء والزهاد والمتصوفة والطفيليون وغيرهم، وتصنفهم بحسب طبقاتهم الزمنية أو العلمية.

4-تاريخ المدن: كتب تاريخية خصصت لمدن معينة وتراجم أهلها، مثل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ومكة ودمشق والقاهرة.

5-التاريخ السياسي: كتب ركزت على أحوال الدولة والحكم والخلافات السياسية.

4-مناهج الكتابة وطرقها:

- **منهج التاريخ الحولي** :يتم عرض الأحداث التي وقعت حسب تتالي وتعاقب السنوات، وكان يبدأ أحداث كل سنة بقول: ثم كانت بداية سنة كذا، وقد أبدع العلماء في هذا المنهج كثيرًا، وهذا ساعدهم على سهولة عرض الأحداث والتاريخ الإسلامي وإيصاله بكل أمانة.
- **المنهج حسب الطبقات** :تم ابتكار هذا المنهج وارتبط بعلم الحديث بشكل وثيق، وقد تم تقسم الطبقات حسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقسم من جاء من بعدهم من السلف.

- **المنهج حسب الموضوعات** :اعتمد المسلمون منهج التاريخ حسب الموضوعات مثل العصور والبلدان والدول والسلاطين والخلفاء والأنساب.
- **منهج التاريخ الشامل** :اعتمد المؤرخون في كتابة بعض الكتب على شمولية المواضيع، ولم يقتصر الأمر على التاريخ الإسلامي بل كتبوا عن تاريخ ما قبل الإسلام وعن تاريخ الأمم الأخرى.

5-خصائص عامة

تميز التدوين الإسلامي بخصائص كثيرة أهمها:

- **الإسناد:** استعار المؤرخون المسلمون من علماء الحديث منهجية الإسناد لتوثيق الروايات التاريخية، وذلك بذكر سلسلة الرواة للتأكد من موثوقية الخبر.

- **تعدد المصادر:** لم يقتصر المؤرخون على مصدر واحد، بل اعتمدوا على القرآن، والحديث، وروايات المعارك، والشعر، وغيرها من المصادر.

- **الشمولية:** لم يقتصر التدوين على الأحداث السياسية فقط، بل شمل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والفلسفي.

- **الواقعية:** حرص العديد من المؤرخين على الاستقلال في آرائهم، ولم يكونوا دائمًا مؤرخين للسلطة الحاكمة.

- **النقد المنهجي:** طور بعض المؤرخين، مثل ابن خلدون، نظرة نقدية عميقة للتحليل التاريخي، ووجهوا انتباههم لأسباب الظواهر الاجتماعية.

- **الارتباط بالدين:** كان أحد الدوافع الأساسية للتدوين هو تتبع وعد الله في التاريخ وحفظ تاريخ السلف الصالح.

- **الوعي بالزمان والمكان** :حرص المؤرخون على توثيق التواريخ بدقة (بالهجري غالبًا) وربط الأحداث بمواقعها الجغرافية.

- **الموضوعية والنزاهة** :على الرغم من وجود تحيزات مذهبية أو سياسية أحيانًا، إلا أن المنهج العام دعا إلى الموضوعية. كان المؤرخون ينتقدون الحكام ويذكرون مساوئهم إلى جانب محاسنهم.

5-التدوين التاريخي في عصر النهضة والعصر الحديث

عرفت هذه الحقبة ثورة حقيقية في مفهوم التاريخ وكتابته، مما أدى إلى ظهور التاريخ كعلم أكاديمي كما نعرفه اليوم.

أولاً: عصر النهضة (القرنان 15 و 16 الميلادي)

تغيرت الكتابة التاريخية في عصر النهضة حيث الإنسان محور اهتمامه باعتماد المصادر الأولية ومنهج نقدي أكثر عقلانية وواقعية. وكان لتطور الحركة الأنسية وحركة الإحياء الدور الكبير في تحديد معالمها الموضوعية والمنهجية واللغوية وغاياتها.

وتميزت الكتابة التاريخية بخصائص أهمها:

- **تغير الموضوعات** :تحول التركيز من التاريخ الدينى إلى التاريخ السياسى والثقافي، مع التركيز على الشخصيات البارزة والأحداث الكبرى.
- **منهجية البحث** :اعتماد منهجية عقلانية تعتمد على تحقيق المصادر وتحليلها نقديًا، بدلاً من الاعتماد الكلي على السرد التقليدي.
- **المصادر الأولية** :الاهتمام بالنصوص الأصلية مثل الوثائق والمراسلات والمراسلات الحكومية لفهم الأحداث بشكل دقيق.
- **الأسلوب والمحتوى**:
  - الابتعاد عن الصيغ المبالغة والتكلف، والتحرر من الأساطير والخرافات الدينية.
  - ظهور السير الذاتية التي تركز على حياة الشخصيات البارزة.
  - بروز التاريخ الثقافي لدراسة تطور الفنون والأفكار.
- **القيمة العملية** :إدراك أن التاريخ يُعلّم دروسًا أخلاقية وسياسية يمكن تطبيقها على السياسات والإجراءات المعاصرة.
- **التحرر من النزعة اللاهوتية** :كان هناك ميل واضح لتحرر الكتابات من النزعة الدينية التقليدية، وهو ما ظهر في أعمال مؤرخي مدرسة فلورنسا مثل مكيافيلي وجويكارديني.
- **التنسيق** :أصبح النص التاريخي منظمًا بشكل أفضل باستخدام أسلوب أدبي رفيع وتقسيمه إلى فصول وأجزاء لتسهيل فهم الأحداث

ثانياً: التنوير (القرن 18 الميلادي)

تحولت كتابة التاريخ في عصر التنوير من مجرد سرد للأحداث إلى علم يتبع منهجا علميا ونقديا، حيث اعتنق المؤرخون الفلسفة والعقلانية في دراساتهم، وركزوا على التحليل العقلاني للمصادر، وفصل الأساطير عن الحقائق التاريخية، والتأكيد على أن التاريخ هو تاريخ العقل البشري وتقدمه. وساهمت في إرساء هذا النهج كتابات فلاسفة عصر التنوير أمثال فولتير ومونتيسكيو وروسو.ويمكن إجمال أهم خصوصياتها فيما يلي:

- **تطبيق المنهج العلمي والنقدي:** نبنى المؤرخون العقلانية والمنهج العلمي في تحليل النصوص والمصادر التاريخية للتأكد من صحتها ومصداقيتها، وركزوا على فحص الوثائق القديمة وتحليل السياقات الاجتماعية والسياسية التي كُتبت فيها.
- **فصل الأسطورة عن الحقيقة:** أبعدت الروايات الأسطورية والخرافية والغيبيات عن الكتابات التاريخية، واعتمدت الأدلة المادية والأثرية لدعم أو دحض الروايات النصية.
- **التحرر من التعصب الديني والقومي:** تحرر المؤرخون أكثر وقل تعصبهم.
- **إبراز دور العقل البشري:** التاريخ يعكس تطور العقل البشري وتقدمه، وانصب الاهتمام على دراسة الفكر وتطور العقل البشري بدلًا من تتبع أحداث السياسة أو تأليه الملوك.
- **توسيع نطاق البحث التاريخي:** تخلص التاريخ من احتكار الأحداث السياسية وانفتح على مواضيع أخرى، مما وسع آفاق المعرفة التاريخية، ونوع فروع البحث التاريخي.

لقد تقدم مؤرخو التنوير خطوة أبعد في علمنة التاريخ وإخضاعه للعقل.

7-وضعية التاريخ في القرن 19

شهد التاريخ في القرن التاسع عشر تحولاً جذرياً، حيث انتقل من كونه سرداً أدبياً أو سجلاً لأفعال العظماء إلى كونه **"علماً"** (Science) يحاول فهم قوانين التطور البشري. وأهم ملامحه الجديدة:

1-صعود المنهجية التاريخية العلمية

انتشار الإيمان بإمكانية جعل التاريخ علماً قائماً على فحص دقيق للأدلة ونقد المصادر والتزام الحياد. ويعد **ليوبولد فون رانكه (Leopold von Ranke)** رائد الفكرة حتى إنه اعتبر أبا التاريخ الحديث. وقد رفض أن تكون مهمة التاريخ إصدار الأحكام أو إعطاء العبر، ورفع شعاره الشهير: **"كما حدث حقا" ،** وجسد هذا الشعار ب:

- **الاعتماد على الوثائق الأولية:** الأرشيفات الرسمية والوثائق الدبلوماسية والمراسلات.
- **نقد المصادر (Source Criticism):** تحليل الوثائق نقدياً لتحديد صحتها، ودوافع كاتبها، ومدى مصداقيتها.
- **الحياد والموضوعية :**محاولة استخلاص الحقائق من الوثائق نفسها، وليس فرض رؤية مسبقة عليها.

2-هيمنة النزعة التاريخية: التاريخ عملية تطور مستمرة، حيث ينمو كل عصر من رحم سابق، ولكل أمة "روح" يعبر عنها (يوهان جوتفريد هيردر) تاريخها.

3-تأثير الفلسفات الكبرى للتاريخ: حاول العديد من المفكرين وضع نظريات شاملة تفسر مسار التاريخ البشري كله. وأشهرها **المادية التاريخية عند كارل ماركس،** حيث قدم ماركس (وهيغل قبله) أحد أقوى النظريات لتفسير التاريخ. رأى أن محرك التاريخ هو **الصراع الطبقي،** الناتج عن تناقض **قوى الإنتاج** (التقنية- العلاقات الاقتصادية) مع **علاقات الإنتاج** (الطبقات الاجتماعية)، فالتاريخ يسير وفق قوانين ديالكتيكية حتمية نحو مرحلة نهائية هي المجتمع الشيوعي. وتعتبر بمثابة تطوير عميق لفلسفة هيغل للتاريخ، حيث كان يرى أن التاريخ هو عملية تطور "الروح المطلق" نحو تحقيق الحرية، من خلال آلية "الجدل" (الديالكتيك): (أطروحة، نقيض الأطروحة، تركيب).

4-توسع مجال الموضوعات التاريخية

بدأ المؤرخون في التوسع خارج نطاق التاريخ السياسي والعسكري للعظماء.

- **التاريخ الدستوري والقانوني** :مثل أعمال فريدريك كارل فون سافيني في ألمانيا.
- **التاريخ الثقافي والفكري** :الاهتمام بتاريخ الأفكار والمؤسسات الثقافية.
- **بدايات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي** : رغم أن هذا المجال سيزدهر أكثر في القرن العشرين، إلا أن بذوره وضعت في القرن التاسع عشر.

5-المؤسسة الأكاديمية والتخصص

- **تحول التاريخ إلى تخصص أكاديمي:** أصبح التاريخ مادة تُدرس في الجامعات بشكل منهجي، وليس مجرد هواية للأدباء أو رجال الدين.
- **نشأة المجلات التاريخية المتخصصة** :مثل "المجلة التاريخية" التي أسسها رانكه نفسه.
- **ظهور "الحرفة" التاريخية** :أصبح المؤرخ محترفاً يتقن لغات ومنهجيات بحث ونقداً وثائقياً.

6-علاقة التاريخ بالعلوم الطبيعية والقومية

- **التأثر بنموذج العلوم**: سعى المؤرخون لمحاكاة دقة وموضوعية العلوم الطبيعية في عملهم.
- **دعم الروايات القومية**: لم يستطع التاريخ الجديد الحفاظ على الحياد العلمي الذي آمن به فانجرف إلى خدمة الأيديولوجيات القومية السائدة في القرن التاسع عشر. فدراسة تاريخ أمة ما، وإثبات عمق جذورها، كان وسيلة لتعزيز هويتها وتبرير مطالبها الوحدوية (كما في ألمانيا وإيطاليا).

باختصار، لقد دخل التاريخ في القرن 19 إلى عالم ال"علمنة" و "التأصيل"، وظهرت تيارات متعددة تقوم على مبادئ ثابتة عرفت بالمدارس.

خاتمة

قطعت كتابة التاريخ البشري أشواطا متعددة بدأت مع ظهور أولى الحضارات المستقرة في الأحواض النهرية الكبرى خاصة في بلاد الرافدين. وقد تنوعت اهتماماتها وانشغالاتها ومناهجها، واستطاعت أن تحقق طفرات مميزة في بعض العصور خاصة العصرين الإغريقي والإسلامي. وقد مكن هذا التراكم من وضع أسس نظرة تاريخية جديدة بدأت ملامحها في الظهور في العصر الحديث ثم نمت بشكل كبير وجذري خلال العصر المعاصر في الدول الغربية التي صارت؛ بمدارسها المختلفة، موجهة لمناهج كتابة التاريخ.

المدارس التاريخية

تمثل المدرسة التاريخية تيارا فكريا أو مجموعة من المؤرخين يشتركون في تصور محدد حول التاريخ وتأريخه، لا سيما في فهمه وتأويله. وتركز هذه المدارس على دراسة تطور الفكر البشري عبر التاريخ عبر محاور علمية نظرية (كتحليل العوامل المحركة للتاريخ)، ومحاور منهجية عملية (تتعلق بأدوات البحث التاريخي). وقد ظهرت هذه المدارس بتأثير تيارات أخرى مثل المدرسة الوضعية. فما هي ظروف ظهور المدرسة التاريخية في القرن 19؟

شهد القرن 19 تغيرات عميقة على صعد الفكر والسياسة والمجتمع، وأهمها:

1-1-السياق الفكري والفلسفي

- **رد الفعل ضد عصر التنوير:** عرف القرن 19 رفضا قويا للنزعة العقلانية المجردة لفلاسفة الأنوار ونظرتهم الكونية للفكر ودعما للخصوصية التاريخية للأمم والمجتمعات.
- **تأثير الرومانسية:** لعبت بلفت الانتباه للعواطف التراث الشعبي والأساطير والخصوصية الفردية.
- **تطور الفكر التاريخي:** تطورات مهمة في المحاضرة السابقة.

1-2-العوامل السياسية والاجتماعية

- **تصاعد الفكر القومي:** ظهور حركات الوحدة الوطنية خاصة في ألمانيا، إيطاليا، والبحث عن جذور تاريخية لتبرير الدولة القومية، وكان التاريخ أحسن أداة لبناء الهوية الوطنية مما زاد من قيمتهز
- **التغيرات الاجتماعية:** عرف المجتمع الأوربي تغيرات وتحولات بفعل الثورة الصناعية وصعود البورجوازية إلى واجهة المجتمع والثورة الفرنسية، وقد دفعت كلها إلى الاهتمام بالتاريخ للبحث عن الأصول أو دعم الأفكار.
- **التوسع الاستعماري:** زادت الحاجة إلى فهم المجتمعات المستعمرة "البدائية"، وتطور علمي الجغرافيا والأنثروبولوجيا كفرع من الدراسة التاريخية، والرغبة في تجميع الأرشيفات الاستعمارية.

1-3-المؤسسات الأكاديمية

- **تأسيس الجامعات الحديثة** مثل: **جامعة برلين** (1810)كنموذج للبحث العلمي، و**تأسيس كراسي** للتاريخ في الجامعات الأوروبية، و**تحول التاريخ** من هواية أرستقراطية إلى تخصص أكاديمي، وظهور **الجمعيات التاريخية: جمعية** Monumenta Germaniae Historica (1819) ، و**الجمعيات المحلية** لجمع الوثائق والمخطوطات، و**توثيق المصادر** ونشرها بشكل منهجي.

1-المدرسة الوضعية في التاريخ

تُعرف باسم المدرسة الوضعية أو الوضعانية التاريخية أو التاريخ الوضعي.

اعتمدت اسسها على النظرية الوضعية (Positivism) وهي تيار فكري وفلسفي ظهر في القرن التاسع عشر على يد الفيلسوف الفرنسي **أوغست كونت** (Auguste Comte). وتعتبر هذه النظرية العامل الثقافي محركا أساسيا للتاريخ. وتحدد مراحل تطور التاريخ البشري في ثلاثة مراحل: اللاهوتية (تدخل ما بعد الطبيعة) الخاصة بالشرق، والمتافيزيقية (اعتماد قوى غامضة وكيانات قادرة على فرز ظواهر) الخاصة باليونان، والوضعية/ العلم القائمة على التجريب ووضع القوانين الطبيعية وتخص الغرب. وتدافع عن أن العقل البشري لن يحقق ذاته إلا بالوضعية التي تعني العلوم الملموسة التي تمثل المعرفة الصحيحة، أما الفلسفة ووالتنظيرات الميثالية فلا فائدة منها.

وقد تبنى المؤرخون أفكارها وحاولوا تطبيقها في ميدان التاريخ، واعتقد كثيرون أنه يمكن دراسة التاريخ بنفس الطريقة العلمية التي تُدرس بها الظواهر الطبيعية، أي أن التاريخ تحكمه قوانين موضوعية وعلاقات سببية يمكن اكتشافها من خلال جمع وتحليل "الوقائع" أو "البيانات" المجردة بشكل محايد وموضوعي.

وأهم الأسس والمبادئ الأساسية للمدرسة الوضعية في التاريخ

1. **التركيز على "الوقائع" والحقائق الملموسة:**

يعتبر الوضعيون أن مهمة المؤرخ الأولى هي جمع الحقائق والوثائق والأدلة المادية (مثل المعاهدات، السجلات الرسمية، الإحصائيات، الخطابات، الآثار)، وكل ما لا يمكن إثباته بواسطة وثيقة أو دليل مادي يُعتبر غير علمي ولا مكان له في البحث التاريخي. (مثل: المشاعر، الدوافع الشخصية، الأفكار المجردة).

2. **الموضوعية والمحايدة المطلقة:**

يجب على المؤرخ أن يكون مثل العالم في المختبر: مجرد مراقب محايد. عليه أن يتجرد من مشاعره، معتقداته، وأهوائه الشخصية أثناء البحث بهدف الوصول إلى "الحقيقة التاريخية" الواحدة والثابتة، والتي هي مستقلة عن رؤية المؤرخ.

3. **السببية والتحديد:**

تؤمن الوضعية بأن الأحداث التاريخية لا تحدث بالمصادفة، بل هي نتيجة حتمية لسلسلة من الأسباب التي تسبقها، ومهمة المؤرخ هي اكتشاف هذه العلاقات السببية (Cause-Effect Relationships) بين الوقائع. مثلاً: سبب سقوط الإمبراطورية الرومانية هو مجموعة من العوامل العسكرية والاقتصادية والاجتماعية التي يمكن تحديدها.

4. **التعميم واستخلاص القوانين:**

الهدف النهائي للتاريخ الوضعي هو الوصول إلى قوانين عامة تحكم تطور المجتمعات البشرية تشبه قوانين الفيزياء أو البيولوجيا.

5. **الاعتماد على الوثيقة المكتوبة:**

تُعتبر الوثيقة المكتوبة (خاصة الرسمية منها) هي المصدر الأهم والأكثر موثوقية للمؤرخ الوضعي، من هنا جاءت العبارة الشهيرة **"لا تاريخ بدون وثائق"**

خطوات البحث في المدرسة الوضعية

اتبع المؤرخون الوضعيون (مثل ليوبولد فون رانكه في ألمانيا، وأوغستان تييري في فرنسا) منهجية دقيقة تقوم على:

1. **جمع المصادر والوثائق :**البحث في الأرشيفات والمكتبات.
2. **النقد المصادري (نقد المصادر) :**يتم فحص الوثائق نقديًا لتحديد صحتها وأصالتها (النقد الخارجي) ومحتواها (النقد الداخلي).
3. **التحليل والتركيب :**بعد التأكد من صحة الوقائع، يقوم المؤرخ بتحليلها وربطها ببعضها البعض لتكوين سردية تاريخية متماسكة تشرح سبب وقوع الحدث.

وقد ساهم توجهها المنهجي في رفع التاريخ إلى مرتبة العلم يعتمد منهجا نقديا صارما للمصادر :، ويلتزم ب الدقة والموضوعية.

أهم ممثلي الوضعية التاريخية

رانكه ليوبولد

لقد كان**ليوبولد فون رانكه** مؤرخًا (21 ديسمبر 1795 - 23 مايو 1886) ألمانيًا يتبع الفلسفة الوضعية الحديثة كما أنه مؤسس التاريخ الحديث المدعوم بمصادر التاريخ، فوضعَ رانكه معايير للعديد من الكتابات التاريخية اللاحقة، حيث طرح أفكارًا تعتمد على المصادر الأساسية (التجريبية)، والتأكيد على التاريخ الروائي وخاصةً السياسات الدولية

منهج ليوبولد فون رانكه في كتابة التاريخ، والذي يقوم على **الاستناد إلى المصادر الأولية والوثائق الرسمية** لدراسة الأحداث الماضية بشكل موضوعي ودقيق .تُعتبر هذه الوضعية أساس التاريخ الحديث، وتُركز على التاريخ السياسي والتطورات الدولية، مع اهتمام خاص بالدولة القومية .

مبادئ منهج رانكه:

- **الاعتماد على المصادر الأولية :**يرى رانكه أن المؤرخ يجب أن يعتمد بشكل أساسي على الوثائق الأصلية، مثل السجلات الرسمية والمراسلات الشخصية، لكشف حقيقة الأحداث الماضية.
- **موضوعية ودقة التحليل :**سعي لتجريد التاريخ من القصص الخيالية وتقديمه كسجل موثق بالحقائق، مدعومًا بالتحليل النقدي للمصادر.
- **التركيز على التاريخ السياسي :**اهتم بشكل خاص بالتاريخ السياسي والعلاقات الدولية، مما جعل أعماله تفتقر أحيانًا إلى الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.
- **تأثير الدولة القومية :**كان مدافعًا قويًا عن الدولة القومية، خاصة الدولة البروسية، واهتم في كتاباته بدور الدولة في حياة الأمة .

الانتقادات الموجهة لمنهجه:

- **تغليب التحليل على السرد :**انتقده البعض بسبب تجريده التاريخ من جوانبه الأدبية أو "الشعرية" وتحويله إلى سجل جاف للحقائق.
- **التعصب للدولة :**اتُهم بالتعصب للدولة البروسية، مما أثر على موضوعيته في بعض الأحيان.
- **إهمال الجوانب الأخرى :**أدى تركيزه على الوثائق الرسمية إلى إهمال جوانب أخرى من التاريخ، مثل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، بالإضافة إلى إهمال دور الفئات غير المتميزة في المجتمع .

شارل سينيوبوس Charles Seignobos (1854-1942م): مؤرخ فرنسي أحد أبرز رواد **المدرسة المنهجية أو الوضعية** في كتابة التاريخ. ومن أشهر مؤلفاته: " تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر " الذي طبع أكثر من مرة، وترجم لأكثر من لغة.
تتلخص "وضعية سينيوبوس" في المبادئ التالية:

- **التركيز على الوثيقة المكتوبة**: اعتبر سينيوبوس وزميله شارل لانغلوا أن الوثيقة المكتوبة هي المصدر الأساسي والوحيد تقريبًا للتاريخ، وركزا على ضرورة النقد الدقيق والممنهج لهذه الوثائق.

- **الموضوعية العلمية**: دعت مدرسته إلى فرض بحث علمي في التاريخ بعيداً عن المزايدات الفلسفية أو الآراء الشخصية للمؤرخ، بهدف الوصول إلى حقائق تاريخية موضوعية.

- **المنهج الوثائقي الصارم**: اشتهر بمنهج صارم في التعامل مع المصادر، يقوم على جمع الوثائق، تصنيفها، ونقدها نقداً داخلياً وخارجياً قبل استخدامها في بناء السرد التاريخي.

- **نقد لاحق من مدرسة الحوليات**: لاحقاً، تعرضت أفكار سينيوبوس للنقد من قبل مؤرخي مدرسة الحوليات (مثل مارك بلوخ)، الذين دعوا إلى توسيع مصادر البحث التاريخي لتشمل مختلف العلوم الاجتماعية وعدم الاقتصار على الوثيقة المكتوبة .

باختصار، "وضعية سينيوبوس" هي **منهج تاريخي وضعي صارم** يركز على الوثيقة المكتوبة كأساس وحيد للتأريخ العلمي والموضوعي.

نواقص الوضعية

1. **استحالة الموضوعية المطلقة :**انتقدها المؤرخون اللاحقون (خاصة من المدرسة التاريخانية ومدرسة الحوليات) بحجة أن المؤرخ إنسان لا يمكنه الفصل تمامًا عن سياقه الثقافي والاجتماعي والأيديولوجي. اختياره للموضوع والوثائق التي يستخدمها وتساؤلاته نفسها كلها تتأثر بوجوده في التاريخ.
2. **إهمال الجوانب غير المادية:** أهملت التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتاريخ Mentalités (عقليات الناس) وكذلك تاريخ "المهمشين" الذين لم تترك لهم وثائق مكتوبة.
3. **الوثيقة ليست نافذة شفافة على الماضي:** الوثيقة نفسها هي منتج تاريخي، كُتبت لغرض معين ومن وجهة نظر كاتبها. ليست مجرد انعكاس آلي "للحقيقة."

4. **التاريخ ليس علمًا طبيعيًا :** انتُقدت فكرة وجود قوانين حتمية في التاريخ، لأن الإنسان يتمتع بإرادة حرة والعوامل المؤثرة في الأحداث معقدة جدًا ولا يمكن اختزالها إلى معادلات بسيطة.
5. **التاريخ كسرد للأحداث السياسية والعسكرية:** بسبب اعتمادها على الوثائق الرسمية، ركزت الوضعية تاريخيًا على تاريخ الملوك والقادة والحروب والدول، وأهملت تاريخ الجماهير والحياة اليومية.

خلاصة

منهج نقدي شديد للمصادر/ البحث عن الموضوعية/ فرض التريخ كفرع علمي قائم ومؤثر/أساس للمدارس اللاحقة (مدرسة الحوليات-المادية التاريخية الماركسية-تاريخ الأفكار-التاريخ الجديد)

3-مدرسة الحوليات

مدرسة الحوليات هي مدرسة فرنسية ثورية في الكتابة التاريخية، أسستها مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" عام 1929 .وقد جاءت هذه المدرسة كرد فعل على المدرسة الوضعية التقليدية التي كانت تركز على التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري فقط.

1-النشأة والأسس الفكرية

كانت انطلاقتها في جامعة مدينة ستراسبورغ شمال شرق فرنسا عندما التقى اثنان من المؤرخين؛ لوسيان فيبر (1878-1956) ومارك بلوخ (1886-1944)، وحصول تناغم كبير بين فكريهما التاريخي. وقد حصل اللقاء في وقت كانت فيه العلوم الإنسانية تعيش على وقع اهتزازات ونقاشات واسعة، فقد فرض علم الاجتماع الدوركايمي الوضعي سيطرته على ساحة العلوم بينما عاش التخصص التاريخي أزمة حادة وتعرض لانتقادات عنيفة خاصة ضد التاريخ الوضعي في شخص المؤرخ شارل سينيوبوس حيث اعتبر عالم الاجتماع فرانسوا سيمياند ان تاريخه يقوم على تمجيد ثلاثة أصنام: الصنم السياسي، والصنم الفردي، والصنم الزمني. وصادف الوقت؛ 1900م، تأسيس هنري بير مجلة "التركيب التاريخي" التي تدافع عن مشروع توحيد العلوم الإنسانية وضرورة انفتاح التاريخ على التخصصات الجديدة مثل علم الاجتماع وعلم النفس أو الجغرافيا، فانضم إليها المؤرخان وساهما في النقاش بنشاط.

وفي 1929م أصدر الرجلان مجلة **"الحوليات"** التي اعطت الانطلاقة لمدرستهما الجديدة، وقد حملت لواء المراجعة الشاملة لمفهوم التاريخ، و كسر جمود المدرسة الوضعية التقليدية وقيودها التي حصرت التاريخ في نطاق الوثائق المكتوبة وكتابة تاريخ الملوك والمعارك والأحداث السياسية.

2-الأفكار والمبادئ الأساسية

قامت مدرسة الحوليات على عدد من المبادئ التجديدية أهمها:

- **التاريخ الشمولي**: الدعوة إلى "تاريخ كلي" يدرس جميع جوانب المجتمع البشري وليس فقط الجانب السياسي.

- **انفتاح التاريخ على العلوم الأخرى**: التأكيد على التداخل والتعاون الوثيق بين التاريخ والعلوم الاجتماعية الأخرى مثل الجغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم الديموغرافيا.
- **تحطيم "أصنام التاريخ** :"هاجمت المدرسة ما أسمته "أصنام التاريخ" التقليدية: **التاريخ السياسي** و**التاريخ الفردي** و**التسلسل الزمني**
- **من حدث إلى بنية** :تحويل اهتمام المؤرخ من البحث في الأحداث المنعزلة إلى البحث في **البنيات** التاريخية العميقة والتحولات طويلة المدى.
- **الوثيقة والإشكالية** :لم تعد قيمة البحث التاريخي في اكتشاف وثائق جديدة فقط، بل في **الأسئلة والإشكاليات** التي يطرحها المؤرخ لمعالجة تلك المصادر.

3-أجيال مدرسة الحوليات وتطورها

شهدت مدرسة الحوليات تطورًا واضحًا عبر عدة أجيال، لكل منها روادها واتجاهاتها المميزة:

السمات والاهتمامات الرئيسية	أبرز الرواد	الجيل/الفترة
النقد الجذري للتاريخ التقليدي، الدعوة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، الانفتاح على العلوم الاجتماعية.	لوسيان فيفر، مارك بلوخ	**جيل التأسيس (عقد 1920-1940)**
التركيز على الزمن الطويل والهياكل العميقة، التاريخ الكمي، دراسة الحضارات.	فرناند بروديل، جورج دوبي، إرنست لابروس	**الجيل الثاني (عقد 1950-1960)**
تاريخ الذهنيات (المخيال الجمعي)، التاريخ الثقافي، دراسة مواضيع مثل الموت، الحب، الحياة اليومية.	جاك لو غوف، إيمانويل لوروا لادوري، فيليب أرييس	**الجيل الثالث (عقد 1970)**
نقد "التاريخ الشمولي"، التحول نحو "التاريخ المفتت"، الاهتمام بالدراسات الدقيقة والميكروتاريخ، التركيز على الممارسات الثقافية.	روجر شارتييه، جاك ريفيل	**ما بعد الثمانينيات**

3-الإسهامات والتأثير

أحدثت مدرسة الحوليات ثورة في حقل الدراسات التاريخية من خلال:

- **توسيع مجال الموضوعات التاريخية** :فتحت المجال لدراسة تاريخ الناس العاديين والمهمشين، والاهتمام بالتاريخ الاقتصادي، والاجتماعي، وتاريخ الذهنيات، وأنماط الحياة اليومية.
- **تجديد المنهج والأدوات** :أدخلت استخدام الأدوات الكمية والإحصاءات، والاستفادة من نظريات ومناهج العلوم الاجتماعية المجاورة.
- **التأثير العالمي** :امتد تأثيرها خارج فرنسا لتؤثر على الكتابة التاريخية في أوروبا وأمريكا اللاتينية والعالم العربي.

4-الانتقادات والتحديات

واجهت المدرسة أيضًا مجموعة من الانتقادات، خاصة في مراحلها المتأخرة:

- **أزمة هوية التاريخ** :مع الانفتاح المفرط على العلوم الأخرى، بدا وكأن التاريخ يفقد هويته كعلم مستقل ويذوب في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.
- **إهمال الدور السياسي** :اتهمت بإهمال دراسة الدور الفعال للحدث السياسي والفرد في التاريخ.
- **التفتت** :قاد التخصص الدقيق والاهتمام بالتفاصيل إلى ما يُعرف بـ "تفتت التاريخ"، وفقدان الرؤية الشاملة للمجتمعات.

خاتمة

تظل مدرسة الحوليات واحدة من أكثر المدارس التاريخية تأثيرًا في القرن العشرين، حيث نجحت في تحويل التاريخ من سرد للأحداث إلى علم قائم على التحليل والاستفادة من مختلف العلوم لدراسة المجتمع البشري في كل أبعاده.

تكوين المؤرخ

يمثل تكوين المؤرخ الجاد عملية بناء متكاملة إذ لا يقتصر على المعرفة التاريخية وحدها، بل يتوسع ليشتمل على جوانب فكرية وشخصية ومهنية متنوعة وعديدة سنحاول أن نعرضها موجزة فيما سيأتي.

1-الأسس الأكاديمية والمعرفية

1-1-المعرفة التاريخية المتخصصة والعميقة:

يتقدمها الالمام الجيد بالفترة التاريخية المدروسة وموضوع التخصص، والقدرة على استحضار السياقات التاريخية المحيطة سياسيا وتاريخيا واقتصاديا واجتماعيا، واستحضار أهم النظريات والتفسيرات التاريخية المتداولة.

1-2-الانفتاح على العلوم الأخرى

لا يكتفي المؤرخ بالتكوين الجيد في تخصصه، بل يلزم بالانفتاح على العلوم الأخرى وعلى رأسها العلوم الانسانية والاجتماعية، ومنها: علم الآثار والنميات (دراسة العملات Numismatics/Numismatique) والوثائق (diplomatics/ diplomatiques) والخطوط palaeography/ paléographie والأختام Sigillography/ Sigillographie والجغرافيا التاريخية، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والاقتصاد، والفلسفة، والأدب، والإحصاء، والرياضيات، والعلوم الطبيعية، والمعلوميات.

1-3-إتقان اللغات:

* اللغة الأم لإتقان التعبير والبحث (العربية والأمازيغية)

* اللغات الأجنبية (كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية بالنسبة للمغاربة) للوصول إلى المصادر والمراجع العالمية والمشاركة في الحوار العلمي.

* اللغات القديمة ذات الصلة بتخصصه (كالقبطية أو العبرية أو اللاتينية أو الإغريقية).

2-المهارات المنهجية والبحثية (قلب العملية التاريخية)

2-1-المنهجية العلمية والنقد التاريخي:

- **النقد الخارجي** :التحقق من صحة المصدر (صحة الوثيقة، تاريخها، أصالتها).
- **النقد الداخلي** :تحليل مضمون المصدر (دوافع الكاتب، تحيزاته، سياق كتابته، ومدى مصداقيته).
- القدرة على تمييز الحقائق من الآراء والتفسيرات.

2-2-مهارات البحث العلمي:

- القدرة على صياغة أسئلة بحثية واضحة ومبتكرة (وضع الإشكاليات الجيدة)
- مهارة جمع المصادر الأولية والثانوية من الأرشيفات والمكتبات وقواعد البيانات.
- القدرة على تنظيم المعلومات وإدارتها بفعالية باستخدام البطاقات أو برامج مثل: Zotero وMLA وAPA .

(برنامج لإدارة المراجع، ويساعد الباحثين والطلاب على جمع وتنظيم وتوثيق موادهم البحثية مثل الكتب والمقالات وصفحات الويب. ويسمح البرنامج بإنشاء قوائم المراجع تلقائيًا في أنماط مختلفة مثل APA وMLA ، وإدراج الاستشهادات في محرر النصوص (مثل: Word وGoogle Docs)، وتخزين الملاحظات والملفات المرفقة).

(نمط التوثيق MLA (Modern Language Association) هو مجموعة من الإرشادات لتنسيق الأوراق البحثية وتوثيق المصادر، ويُستخدم بشكل أساسي في العلوم الإنسانية مثل اللغة والأدب. يتميز هذا النمط بالبساطة في الاقتباس داخل النص (غالباً بذكر اسم المؤلف ورقم الصفحة فقط)، ووجود قائمة ببليوغرافية مرتبة أبجدياً في نهاية العمل توضح المصادر الكاملة)

(نمط التوثيق APA (American Psychological Association) هو نظام توثيق للمصادر الأكاديمية يُستخدم بشكل أساسي في العلوم الاجتماعية والتعليم . ويعتمد النظام على ذكر اسم المؤلف وتاريخ النشر في متن البحث (داخل النص)، مع تقديم معلومات تفصيلية كاملة عن كل مصدر في قائمة مرجعية منفصلة تُسمى "المراجع" في نهاية المستند. ويهدف أساسا إلى توضيح أصل المعلومات والحفاظ على الأمانة العلمية)

2-3-مهارات التحليل والتركيب:

- تحليل المعلومات من مصادر متعددة ومتنوعة وأحياناً متناقضة.
- تركيب المعلومات وبناء رواية تاريخية متماسكة ومقنعة بناءً على الأدلة.
- القدرة على ربط الجزئيات بالكليات والأحداث بسياقاتها.

3-السمات الشخصية والفكرية

3-1-الموضوعية والنزاهة الفكرية:

- السعي الدائم لمعرفة الحقيقة كما هي، وليس كما يتمناها.
- تجنب التحيز المذهبي أو السياسي أو العرقي أو القومي.
- الاعتراف بأخطائه وتصحيحها.

3-2-التعاطف التاريخي ووعي المسافة:

- محاولة فهم الناس في الماضي ضمن سياقهم وقيَم عصرهم، وليس بمعايير الحاضر (تجنب "الحكم على الماضي").
- في الوقت نفسه، الحفاظ على المسافة النقدية وعدم التبرير المطلق لكل ما حدث.

3-3-فضول فكري لا ينضب:

الشغف الدائم بمعرفة المزيد، والبحث عن الأسئلة الجديدة، واستكشاف المجالات غير المطروقة. (لا يعتمد على المصادرفقط لتوجيه عمله).

3-4-التواضع العلمي:

إدراك أن المعرفة التاريخية نسبية وقابلة للتعديل باستمرار باكتشاف مصادر جديدة، واحترام آراء الآخرين ومنجزات المؤرخين السابقين.

3-5-الصبر والمثابرة:

البحث التاريخي عملية طويلة وشاقة تتطلب ساعات طويلة في الأرشيفات والمكتبات، ومراجعة دقيقة للتفاصيل.

4-المهارات التقنية والتواصلية

4-1-استخدام الأدوات التكنولوجية:

- استخدام قواعد البيانات الرقمية، والمكتبات الإلكترونية.
- استخدام برامج إدارة المراجع.
- الإلمام بأدوات التحليل الكمي أو نظم المعلومات الجغرافية (GIS) إذا تطلب تخصصه ذلك.

4-2-مهارات الكتابة والتواصل:

- القدرة على كتابة التاريخ بلغة واضحة وسليمة وجذابة مع الحفاظ على الدقة العلمية.
- القدرة على تقديم أبحاثه في مؤتمرات علمية ومناقشتها مع الزملاء.
- القدرة على نقل المعرفة التاريخية للجمهور غير المتخصص (كتابة التاريخ الشعبي) دون التضحية بالعلمية.

5-الالتزام الأخلاقي والمجتمعي

5-1-الأمانة العلمية:

الاقتباس بشكل صحيح، والإشارة إلى مصادر الأفكار والمعلومات، ومحاربة الانتحال العلمي.

5-2-الوعي بالمسؤولية الاجتماعية:

- إدراك أن كتابة التاريخ تؤثر في وعي المجتمع وهويته.
- السعي لتقديم تاريخ شامل وعادل، يسلط الضوء على جميع فئات المجتمع، وليس فقط النخب الحاكمة.

الخلاصة

إن المؤرخ الجاد ليس مجرد "حافظ" للأحداث والتواريخ، بل هو **باحث ناقد، ودارس منهجي، وكاتب مبدع، وإنسان يتمتع بخلق رفيع**، وهو صانع للوعي ومساهم في بناء الهوية، وحارس للذاكرة الجماعية من خلال أدوات العلم والمنهج والنزاهة.

./.